

متاهات السرد وآليات بنائه الفني في رواية "حصّاد الرّمال" لمحمد ساري
The Narration Labyrinth and the Mechanisms of its Artistic
Construction in the Novel "Hassad al-Rimal" of Mohamed Sari

*مسلوب أسماء

Mesloub asma

جامعة محمد بوقرة بومرداس (الجزائر)

University M'hamed Bougara Boumerdes (Algeria)

a.mesloub@univ-boumerdes.dz

تاريخ النشر: 2023/03/02	تاريخ القبول: 2023/09/08	تاريخ الإرسال: 2023/08/07
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

الرواية ذاكرة المجتمعات ومستودع أفكارها، استقطبت اهتمام التّارسين بحثًا وتنظيرًا، واستهوت التّوائين كتابةً وإبداعًا على المستوى العالمي والعربي، ومن بين أهم المنجزات الإبداعية التي سجّلت حضورها بالنسبة للأفلام الجزائرية نجد محمد ساري الذي اخترنا آخر إصدار له رواية "حصّاد الرّمال" كنموذج للدراسة، التي تهدف للولوج إلى عوالم تشكل البنية السردية التي حبكها التّوائي وهيكل بناءها الفني. نحاول استثمار بعض آليات المنهج البنيوي والسميائي بسنوظف آليات فيليب هامون لتحليل الشخصيات وتقنيات جيران جينات لتتبع وتيرة الإيقاع الزمني، أما ثنائيات يوري لوتمان لمعرفة الأبعاد الرمزية للأمكنة الروائية.

تستمد الدراسة أهميتها من جمعها جلّ الثيمات التي كتب فيها التّوائي، كما أنّ الرواية لم تزل التصيب الوافر من الدراسة، فارتأينا سبر أغوار كيفية اشتغال بنيتها السردية وتقنية تشكيلها مع التركيز على الجانب التطبيقي. الكلمات المفتاح: متاهات السرد؛ البنية السردية؛ الرواية؛ السرد؛ تقنيات سردية؛ العشرية السوداء

Abstract :

The novel is the memory of the communities and depot of their thoughts, it got the interest of researchers and theorizers and attracted the creation of authors internationally and in the Arab world, in this line, the novel of Mohamed Sari "Hassad al-Rimal", which we chose as model for study, is one of the important

*مسلوب أسماء: a.mesloub@univ-boumerdes.dz

Algerian works, thus, we aim at delving in the narrative depths knit by the novelist to construct its artistic structure that knit the events and presents them In a distinct way.

This study draws its importance from all the themes writer wrote about His novels in general, and « Hassad al-Rimal” in particular, were a historical chronicle in a novelist form with distinct narrative techniques that knit the events and the narrative structure. Through this, he tried to gather the events witnessed in Algeria during the Black Decade in details and to describe the transitory phase towards the National Reconciliation that spread peace.

We try to invest in some mechanisms of the structuralism and semiotic methods. Thus, we shall employ the mechanism of Philip Hammond in analyzing the characters, the techniques of Gerard Genette to track the temporal rhythm, and the binaries of Yuri Lotman to know the central dimensions of novelist places.

In addition, the novel did not get its merits regarding the study. Therefore, we shall focus on how its narrative structure works and how it is formed, with a focus on the practical side.

Key words: narration labyrinth; narrative structure; novel; narration. Narrative techniques; Black Decade



مقدمة:

سعى الجنس الروائي محاكاة واقع المجتمعات فكان لسان حالها ومرآتها العاكسة ، وتمكن من بلورة وعي فني إبداعي يستطيع استيعاب الواقع المعاش من جوانب شتى كالاجتماعي والسياسي والثقافي والتاريخي، واحتفت به الساحة الأدبية والنقدية وثمنت جهود المبدعين على منجزاتهم وهذا سواء على الصعيد الغربي أو العربي. لأن لكل الشعوب حضارات وحروب وفترات مأساوية مرت بها ، وكانت الرواية بمثابة السجل التاريخي في قالب في ترصد الواقع وعلى سبيل المثال نذكر فترة العشرية السوداء التي مرت بها الجزائر وراح ضحيتها الآلاف من الضحايا ثم مرحلة الوثام والسلام وعودة المياه لجاريها وساد الأمن. هذه الفترة خلدها العديد من الروائيين بنصوصهم الإبداعية أمثال الروائي محمد ساري الذي انتقينا له آخر رواية أصدرها و الموسومة ب "حصار الرمال" الصادرة عن دار الحبر الجزائر سنة 2022، وارتأينا الغوص في متاهاتها السردية لترى كيفية

اشتغال آليات الفنية لبنيتها السردية والتركيز على بنية (المكان/الزمان/الشخصيات) وطرح عدة تساؤلات أبرزها:

- ❖ هل استطرد الروائي في وصف أماكنه الروائية ودقق في ديكوراته و حملها دلالات رمزية؟ إلى أي مدى ساهمت الأمكنة الرواية بدفع عجلة الأحداث وسيرورتها وساندت الشخصيات في التجلي أكثر؟.
- ❖ وكيف كون وشكل أنماط شخصياته الروائية وجسد هوياتها؟ ما أهم أبعادها؟، وما طبيعة العلاقة القائمة بين الشخصيات الروائية وباقي العناصر السردية الأخرى؟.
- ❖ ما الإيقاع الزمني الذي اتبعه الروائي للولوج إلى العالم السردى وأعماق الشخصيات لتتبع الأحداث ونسجها؟.

هذه التساؤلات وغيرها نحاول إمطة اللثام عنها بالدراسة والتحليل.

كما تهدف هذه الدراسة إلى استكناه كيفية تكوين البنية السردية ، وكيفية تشكيلها واستغلالها وذلك برصد طريقة تقديمه للأماكن الروائية والمحولات الدلالية ورمزيتها، معرجين بعد ذلك إلى كيفية تلاعب الروائي بالزمن وضبط إيقاعاته المتذبذبة لتسريع وتيرة السرد تارة و كبحها عن طريق إبطائها تارة أخرى، ثم الانتقال إلى رسم الشخصيات الروائية لنرى إلى أي مدى وفق الروائي في تجسيدها وتقسيمها لتكون لها أبعاد و دلالات وكذا علاقتها بالبنيتين الزمانية والمكانية.

نحاول الولوج الى العالم الروائي لفك شفراته وتتبع متاهاته مستعينين ببعض الآليات الاستراتيجية المقترحة للمنهجين البنيوي والسميائي حيث سنوظف آليات فيليب هامون لتحديد أنواع الشخصيات وتحليلها، أما تقاطعات يوري لوتمان نستثمر منها ثنائيات (المغلق/المتفتح) لنرى كيف شيد الروائي الأماكن وأكسبها رموز ذات دلالات عميقة، ونبرز علاقتها بالشخصيات ونرصد إيقاعاته من خلال تقنيات جيران جينات وما اقترحه من مراحل وفق ما يناسب مع طبيعة المتن السردى قيد الدراسة.

أولاً: دلالة المكان الروائي ورمزيته في رواية "حصاد الرمال" لمحمد ساري

حظي المكان بأهمية كبيرة في العملية الإبداعية وذلك لأهميته في حبكة مجريات الأحداث وسيرورتها وما يحمله من معاني ذات حمولة دلالية فبدونه يفقد العمل الأدبي خصوصيته وأصالته على تعبير حسن بحراوي، وقد "تختلف أهمية المكان و قيمته من رواية إلى أخرى و هو يكتسي هذه الأهمية من كونه أرضية الأحداث و خلفيتها و ضابط الصراع بين الأبطال و جزء من كيان المعنى في النص، و يساهم في تبلور العقدة، و هو أحد ملامح الشخصيات و دليل هويتها و انتمائها و خلفيتها الأيديولوجية ، والعنصر الذي يمنح الهوية لأي شيء" مرين محمد عبد الله، تحريشي محمد، حادثة مفهوم المكان في الرواية العربية، رواية "وراء السراب قليلاً"¹، وتشعبت آراء الدارسين حول ترجمته فهناك عدة مصطلحات اجتهد المؤسسون لوضعها منها نذكر على سبيل المثال لا الحصر (الفضاء / الحيز / المكان / الموقع / الموضع) وارتأينا توظيف مصطلح مكان لكثرة

تداوله لحسن استساغته من أهل الاختصاص، وقد تباينت طرق تحليله وتنوعت الآليات الاستراتيجية لدراسته ولهذا تم الاعتماد على التقاطبات المكانية ليوري لوتمان القائمة على الثنائيات الضدية المتعارضة من حيث: المسافة / الحجم / الشكل / الحركة / الاتصال / العدد / الإضاءة، ونسعى لتوظيف محور الاتصال (مكان منفتح/مكان مغلق) لأنه يوائم طبيعة متن الدراسة.

1- الأماكن المفتوحة:

وهي التي لا تحدها حدود وقد كانت أسماء مناطق مألوفة فقد كان " اختيار أسماء حقيقية للمدن والأحياء والشوارع يعطي للقارئ إحساسا بأنه يستطيع أن يتحقق من وجودها" [ويخلق نوعا من الألفة والاحتواء والسكينة، وفي الرواية تعددت الأماكن المفتوحة منها /محطة الحافلات/الجزائر/الصحراء/وهران الباهية / تولوز / سوق يومعطي / البلدية (الذواير).

أ- محطة الحافلات:

من خلال هذا المكان استهل الروائي سرد أحداث روايته عن طريق شخصية فيصل بوسكين أثناء تنقله من الحراش إلى قرية عين الكرمة وهنا شكل المكان "معادلا حسيا ومعنويا للمجال الشعوري والذهني للشخصية" ² وخلق لها مساحة لاستذكار ذكريات مضت و متنفسا للبوح عما يختلجها.

ب- قرية عين الكرمة:

موطن الاحداث كلها وصفها بأنها بقعة مقفرة بعيدة عن المناطق العسكرية نجد أن جل الشخصيات تستذكر أحداثها مثل فيصل الذي عندما استفاد من العفو حيث "عاد نهائيا إلى عينالكرمة وقرر الاستقرار بها وبداية حياة جديدة" ³ فهي تمثل الاستقرار والرجوع لجل الشخصيات لأنها مكان استقرار عائلاتهم و فيها يستترزون لطلب قوت يومهم.

ت- وهران الباهية:

وفها أدى سليم واجب الخدمة الوطنية حيث كانت في عهد الأمن والسكينة وقضى فيها أحلى أوقاته من " أكل شراب سهرات الرأي والرميتي والطواف في شوارع المدينة تتلصص على الوهرانيات المبتسآت دوما" ⁴. وهنا وصف الروائي وهران قبل العشرية السوداء وما آلت إليه حيث ركز على الأوضاع السائدة وقتئذ و بهجة سكانها الذين كانوا ينعمون بالأمن و السكينة قبل العشرية السوداء ، ولم يولي أي إهتمام لوصف البنايات أو الشوارع والأحياء.

ث- الفردوسفا/ فرنسا :

ويقصد بها فرنسا وقد كانت بمثابة ملاذ للشباب في العشرية السوداء هروبا من الواقع البائس الذي كان سائدا حينها أمثال بلقاسم ومنير القانطان بمدينة " تولوز ينعمان فعلا بخيرات فافا" ⁵ ، وقد ذهب إليها عن طريق الهجرة غير شرعية (حراقة) في البوطي وهو الزورق الصغير، وهنا ركز الروائي الحياة الهادئة

والاستقرار المادي الذي كان يطمح إليه الشباب وقتها و لا يجدونه الا في الحرقا الى فرنسا ووصفها بالفردوس (درجة من درجات الجنة) تاركين خلفهم حجم العشرية السوداء.

ج- الحراش:

وكان يحمل دلالتين لأنها منطقة تحوي سجن وسوق شعبي ، وهو في الأصل عبارة عن حي شعبي يعج بالمواطنين وصف الروائي حالة بومعطي سوق شعبية التي تتبع اللبسة والمواد الغذائية وكل سلعها بأثمان معقولة في متناول الجميع يتمكن الجميع اقتنائها ، كما أشار إلى سجن الحراش و الذي يعج بالحركة بسبب الظروف الأمنية المضطربة.

2- الأماكن المغلقة:

وهي الرقعة الجغرافية التي تحدها حدود جغرافية وقد تعددت في الرواية حيث نجد في الرواية عدة أماكن مغلقة التي تحدد دلالات مختلفة منها: المسجد العتيق /بيت السبت/حديقة منزل السبت/مقر القيادة (ورقلة)/ مقر الشرطة/المستشفى/إستان بيت فيصل بوسكين.

أ- المسجد العتيق:

هو مكان ديني تقام فيه الشعائر الدينية وخطب الموعظة و الدروس و الحلقات، لكن في الرواية يحمل دلالات متناقضة لأن الروائي جعله منبرا للانهازيين باسم الدين فمن خلال خطبة يجمعون ما يسمونه المساعدات التي تقدم في سبيل الدين لاستمالة المصلين واقناعهم على أساس أنها مساعدات ، و لكن فيما بعد تقسم كغنائم بينهم لدعم الحركة المسلحة التي تدعي الإصلاح ، ووصفه الروائي على أن "بلاطه اسمتي و له مدخل صغير تنتشر فيه النعال و هذا دليل على الفوضى التي كانت سائدة فيه فعند التقاء نصرو مع حميد عفيان بعد صلاة المغرب اجتماعا في المسجد العتيق و هو يبحث عن بلغته وسط الكم الهائل من النعال البالية المتناثرة المهملة في باحة المدخل الصغير"⁶

وهنا الروائي لم يركز على وصف المسجد بقدر ما ركز على الدلالات التي يحملها المسجد الرمز الديني المقدس ظاهرا وباطنا لكن في الواقع قد نجد العكس، بالإضافة إلى صفة العتيق على أنه مر مدة من الزمن لبنائه، وما نلاحظه أيضا أن الروائي لم يدقق في وصف المسجد بل ساقه لوصف الحوار الذي دار بين شخصين (نصرو/ حميد عفيان) لأن من خلال "الأماكن تستطيع قراءة سيكولوجية ساكنيه وطريقة حياتهم وكيفية تعاملهم"⁷ مع بعضهم، وما لمسجد إلا حاو لهذه الأحداث ومؤطر الشخصيات الروائية وتسلط الضوء على فئة الإسلاميين الذين يدعون الإسلام و هم ينخرون الوطن وينهبون خيراته و يربعون أهاليه ويسفك دمائهم بغير حق.

ب- مقر القيادة:

ثكنة موجودة بورقلة ولاية تقع أقصى صحراء الجزائر كانت ترسل لها السلع من ملابس ومواد غذائية من أقصى الصحراء بحدود ليبيا لتمويلها ، يقضي فيها الشباب فترة تجنيدهم.

ت- الصحراء:

أين قضى حميد عفيان سنتين في الجيش في الخدمة الوطنية ووصفها الروائي على أنها كانت رمز للأمان والبحوكة وهي تقع في الناحية الرابعة في حدود ليبيا، حيث كانت الأوضاع الأمنية أهدأ بكثير، صحيح أن التهريب هناك ضرب أطنانه وأزهرت مشاتله... اعتنوا باقتطاع نسب معتبرة لإعادة بيعها في السوق السوداء... الغنائم كثيرة والكل يغرف منها".⁸

وما سبق عرضه نستنتج أن هندسة المكان ساهمت في إعطائه أبعاد مفاهيمية حيث خلق "المساحة التي تحدث فيها الأحداث وتتمفصل بواسطتها الشخصيات بعضها عن بعض تفصل القارئ عن عالم الرواية فتنتقله من مكان لآخر ليتعرف عن أماكن شتى"⁹، ويفتح اجتماعيا لأن المكان أثر وتأثر بالشخصيات، وكان إما محفزا ليفرأ إليه كملاذ أو كابوسا وحميا يهرب منه للأوضاع المزرية الذي يعيشها لأن "البيئة الموضوعة تؤثر على الشخصية وتحفزها على القيام بالأحداث وتدفع بها إلى الفعل حتى يمكن القول بأن المكان هو وصف مستقبل الشخصيات"¹⁰ وهذا ما تجسد عند وصف الروائي لعدة أماكن وشخصيات.

ثانيا: الإيقاع الزمني وتجلياته في رواية حصاد الرمال لمحمد ساري

أفرزت جهود الباحثين من أهل الاختصاص عدة مقاربات متباينة لتتبع الإيقاع الزمني ووتيرة السرد الروائي و "يعد الزمن من العناصر الأساسية لبناء الرواية ، إذ لا يمكن تصور حدثا سواء أكان واقعا أو متخيلا خارج نطاق الزمن"¹¹، ومن المقاربات نجد المنهج النبوي والذي نجد من بين أهم أعلامه جيرار جينات (GERAD GENETTE) والذي ارتأينا توظيف بعض آلياته الاستراتيجية لرصد وتيرة السرد وتتبع إيقاع الزمن وسنجمله فيما يلي:

1- الترتيب الزمني: ويتمفصل بعنصرين (السوابق / اللواحق)

أ- اللواحق:

وهي عملية استذكار الأحداث الماضية ويكون إما عن طريق استذكار ماضي الشخصيات لاكتشاف حقائق مثل ما جرى مع سائق الحافلة عندما رأى فيصل بوسكين فبالرغم من "الحفر السريع في ألبوم صور معارفه من الأصدقاء وركاب حافلته الدائمين المخزن بعناية في ذاكرته، إلا أن عملية الاستذكار المستعجلة لم تسعفه تذكر أي تفصيل مهما كان ضئيلا ليعيد هذا الوجه الغريب إلى ألفته السابقة"¹²، ولم يستطيع تذكر بالضبط من يكون، وهناك أيضا استحضار ذكريات مضت شوقا إليها أو تحسرا على ما فات مثل ذكريات ناصر بولعراج وحميد عفيان يؤدي واجب الخدمة الوطنية في مدينة وهران الباهية كان يتحدث بكل امتنان لأنه أداها قبل فترة العشرية السوداء بثلاث سنوات أين كانت تنعم بالهدوء و السكينة وفي أقصى الصحراء حيث الحرارة والظروف الصعبة.

ب- السوابق:

ونعني بها تلك الاستشرافات والتنبؤات التي تروم إليها الشخصيات، وكذا تخميناتها لما سيحدث لها مستقبلا مثل ما حدث مع فيصل بوسكين وهو "يركب المشاهد تلو الأخرى، ويعد نفسه لما قد يحدث له من مفاجآت غير سارة، فلا تخفيه الصعاب ولا يهاب أحدا محم شرس عدوانيته وحسن قلته"¹³ وبعدها استفاد من قانون السلم والوئام المدني وصفحو عنه وهاهو ينتظر مصيره عند ملاقاته أهل قريته خاصة السبتي الذي أقسم أن ينتقم لابنه الذي اغتيل وكان هو المتهم في إنهاء حياته فقد "أقسم على رأس قبر ابنه يوم الدفن وعلى مسمع المعزين أن سيأخذ بثأره مادام حيا طال الزمن أو قصر"¹⁴ وهنا وغد نفسه أن يَأثر لابنه حتى آخر نفس له.

وحتى المقربون من فيصل بوسكين مثل حميد عفيان وناصر بولعراج كانوا في حيرة عن مصير صديقهم مع أهل قريته وتساءلوا اما ان "سيسجن نفسه في بيت أهله حتى لا يراه أحد وستكشف لاحق الأيام صدق حدسي"¹⁵ الشخصيات والمأل المنتظرة من ردة فعل أهل القرية.

2- المدة: (المشهد/ الحذف/ الوقفة/ الخلاصة)

أ- المشهد (حوار داخلي (مولونج)/ حوار خارجي):

أ-1 الحوار الداخلي:

كثيرا ما نجد الشخصيات تحدث نفسها عبر تقنية المولونج سواء للتعبير عما يختلجها من آمال وآلام وتساؤلات مثل: لما تساءل السائق عن سر الرجل الغريب الذي كان يركب الحافلة و قال إني أعرف هذا الرجل "أكيد أنني رأيت خلقته قبل اليوم و لكن أين"¹⁶ ثم جال طيفه أمام عيني من قبل، وتلك الشخصية كانت فيصل بوسكين الذي بدوره كان يحدثه نفسه ويقطع عليها وعدا أنه سيسعيد كرامته وحقه، ويقول وهو يحدث نفسه " حقي وسأسترجعه هذه الليلة قبل أن تنقضي بالمليح أو القبيح سيان عندي الوسيلة فكل الوسائل متاحة ومباحة وحدها النتيجة تهمني"¹⁷ المهم هو استرجاع حقه ظنا منه أنه يحافظ على كرامته.

أ-2 حوار الخارجي:

وهو الحوار الذي يدور بين شخصيتين، وقد جاءت الحوارات طويلة نوعا ما مثلا الحوار بين مصطفى و فيصل كامن خمس صفحات [من ص 55 إلى ص 60]، والحوار لبن فيصل وفريد دام تقريبا خمس صفحات أيضا، وهنا نورد مقتطف من الحوار الذي دار بين ناصر بولعراج وحميد نيوز عندما التقيا أمام المسجد العتيق فبادر حميد بالقول:

❖ " لن تصدق أذنك إذا قلت لك من رأيت اليوم؟ قبل ساعة فقط.

❖ ضاعف ناصر بولعراج من إمعان النظر في شحنة صديقه البرونزية المائلة إلى السواد وهو ينظر إليه في صمت واستغراب.

❖ مثلما أقول لك.... عاد اليوم...رأيتته بأعيني.

- ❖ من هذا الذي رأيته؟ عفريت نجم من تحت الأرض!
- ❖ يمكنك أن تسميه كذلك... بل قل إنه يساوي بمفرده ألف عفريت وألهمت لسانك على غير العادة؟.
- ❖ إنك تعرفه جيداً.
- ❖ يا الله ازرع وخليك من الألفاظ¹⁸ ثم أخبره أنه ناصر الإرهابي الهارب الذي استفاد من قانون المصالحة الوطنية لوقف صوت إطلاق النار.

ب- الحذف:

وقد كان حاضراً بأنواعه الثلاث (الواضح/ الضمني/ الافتراضي) وسنقوم بإدراجها مجملة مثلاً عندما يحكي بولعراج عن قضية مقتل سليم حذفت عدة تفاصيل من المشاهد السردية فيقول " ما أعرفه عن القضية جاءت عدة تفاصيلها بعد سنوات حينما تزوجت ابنة السبتي، مثلما تعرف في تلك السنوات كنت أنا أيضاً في الجيش. ومن حسن حظي أنني قضيت السنتين في الصحراء"¹⁹، ولم يكن حاضراً يوم الواقعة إلا أن أخبرته زوجته فيما بعد عند زيادة ولقائه.

ت- الملخص:

يورده الروائي عادة عندما يحذف أحداث يرى أنها ثانوية ويمكن الاستغناء عنها، ولهذا يحمل الأحداث ويلخصها مثلاً في قوله: "عشر سنوات مرت والبلد في حرب أكلت الأخضر واليابس"²⁰ فطحت خيرات البلاد وزهقت أرواح الأبرياء، وفي موضع آخر يصف حرقه السبتي على اغتيال ابنه سليم فيقول "برغم السنوات التي مرت لا تزال حرقه مقبل ابنه تؤرقه وتؤجج ضغينه"²¹ وتذكي نار الحقد وتشعل روح الانتقام للثأر من الذي اتهم بقتله فيصل بوسكين "سنوات عديدة مرت منذ ان اختفى عن أنظار الجميع وانقطعت أخباره بعد تلك الحادثة التي زلزلت عين الكرمة"²² وزرعت الحقد بين أهلها ونشرت الرعب.

ث- الوقفة:

وهي أن يقف الروائي عن السرد ويصف حادثة معينة أو مشهد أو شخصية، وهذا إما ليساهم في إبطاء وتيرة ومنها مثلاً وصف سوق عين الكرمة كيف أصبح يعج " بمشاهد الشجار والعراك اليدوي العنيف والتلاسن البذيء وصراخ ضحايا النشالين نشاطاً يومياً واشتأز منه قدماء التجار والزبائن وأغلبه رواد السوق الجدد أشخاص غرباء"²³ عن القرية ويتصرفون كأنهم مالكوها.

ومما سبق عرضه وبعد الدراسة والتحليل رأينا أن وتيرة السرد أحياناً كانت سريعة لتسارع الأحداث كما كانت هناك أحداث غير جديرة بالذكر لعدم أهميتها، ويمكن اختزالها دون تفاصيل وذلك بتقليص واختصار في السرد كما نجد أن (الوقفة/المشهد) أسهبا في إسدال الستار عن خوالج الشخصيات بالبحث عن آلامها وأمالها كما تمكننا من معرفة منطلقاتها الفكرية وردود أفعالها.

ثالثاً: أنواع الشخصيات و أبعادها في رواية حصاد الرمال لمحمد ساري

تكتسي دراسة الشخصية الروائية مكانة مهمة في تشكل البنية السردية للعمل الإبداعي فقد أثارت اهتمام الكثير من الدراسات دراسة وتحليلاً "حيث تلعب الشخصية دوراً رئيسياً ومهماً في تجسيد فكرة الروائي، وهي من غير شك عنصر مؤثر في تسيير أحداث العمل الروائي"²⁴، وذلك لما تحمله من أبعاد دلالية ومساهمتها في دفع سيرورة أحداث الخطاب السردية ولما لها علاقة بباقي المكونات السردية الأخرى "تستمد الشخصيات أفكارها واتجاهاتها وتقاليدها وصفاتها الجسمية من الواقع الذي نعيش فيه وتكون عادة ذات طابع مميز"²⁵، وفيما يلي سنحاول الاستعانة ببعض الآليات التي اقترحها فيليب هامون (Philippe Hamon) لتقسيم أنماط الشخصيات ونحاول دمج بعض الخطوات بما يتناسب وطبيعة المتن الذي نروم دراسته والإشكالية التي طرحناها، وبادئ ذي بدء علينا التنويه أننا سنقوم بتصنيف أنواع الشخصيات مرد فيها ببطاقتها الدلالية.

1- تصنيف الشخصيات وطاقاتها الدلالية:

تنحصر شخصيات الرواية في ثلاث فئات نصنفها مجتمعة ثم فصل في التي استطردها الروائي في وضعها ويمكننا تقسيمها على النحو التالي :

أ- الشخصيات الاجتماعية:

فتيات عين الكرمة / المهريون / الوهرانيات الفاتنات المبتسمات / الشيخ السبتي / ب لقا سم / منير / فيصل بوسكين / عبد الجليل / مصطفى / ابن السبتي / حسن / سليم / عبد الجليل / ناصر بولعراج / الشيخ عبد القادر / حميد عفيان / أخت السبتي / أم فيصل بوسكين.

ب- الشخصيات الدينية:

جاعة الاخوان/الجهاديين / الرجال المسلحين المسلمين/ امام المسجد العتيق/المصلين/

ت- الشخصيات السياسية:

الرئيس الجديد / ضباط / الشرطة / محافظ الشرطة / يوسف دزيري.

وسنركز فيما يلي على الشخصيات الفعالة التي كان لها دور في سيرورة وصيرورة الأحداث وأهم الروائي برصد جانبها الفيزيولوجي والاجتماعي وذلك من خلال إدراج بطاقة دلالية تكون بمثابة هوية للشخصية مستندياً أيضاً على المقياس الكمي والنوعي للتعريف بالشخصيات لمعرفة مدى أهميتها.

2- أنماط اهم الشخصيات الروائية وتقسيماتها:

أ- فيصل بوسكين:

هو شاب ثلاثيني من قرية عين الكرمة مشهور باسم الأفغاني وقد ورد في الرواية بعدة أسماء (المسافر/الغريب/الحلوف/القتال/السفاك/قائد الجماعة) اتهموه بقتل سليم باغتيالاه و الفرار، ثم حاول العودة إلى قريته عين الكرمة بعد استفادته من قانون العفو الشامل لحقن الدماء، كان "في الثلاثين من العمر، بوجه شديد السمرة، برزته الشمس و الريح بوجنتين بارزتين، ملامح وجهه توهي بشظف العيش، و ألفة الأعمال اليدوية الشاقة، و بوني صوفي أتلغه الغبار والدرن سواد لونه يغطي كامل الرأس ونصف الجبهة

العريضة على منكبيه العريضتين جاكته جلدية بالية ناصلة، فقدت لونها الأصلي تنسدل على سروال جينز و حذاء رياضي يلتصق الطين الجاف على جوانبه السفلى، تميل قامته إلى القصر نوعا ما، و مع ذلك يدرك الناظر إليه من أول وهلة أن للرجل جسدا مفتول العضلات و قوي البنية زيادة على خفة و سرعة حركاته و التي أظهرها عبر النطة المبالغية²⁶ عند النزول من الحافلة قاصدا قرية عين الكرمة و العودة إلى أهله بعدما استفاد من قانون العفو الشامل رغم التردد الذي ينتابه لأنه كان متورطا في العديد من عمليات الاغتيال التي أرهقت أرواح المدنيين باعتباره قائد الجماعة و المخطط و نفذ.

ب- أحمد بوسكين:

هو والد فيصل بوسكين لين الطباع، محب لأولاده ولا يحبذ ضربهم "ذا طبع هادئ ومتسامح، يتفادى كل ما من شأنه أن يعكر صفوه أو يزعج به في مواجهة غير محمودة العواقب، نادرا ما رآه فيصل غاضبا كما يمكن للرجال أن يغيبوا ويشتموا ويصرخوا ويمجروا ويتوعدوا خصومهم بشر العقاب²⁷ لكن هيئات لقلبه الطيب أن ينتقم أو يطبق ما يقوله ويتوعد به.

ت- أم فيصل بوسكين:

وهي الحنون المتذمرة التي تنفعل على أولادها وتبرحهم ضربا ولا تتردد في امسك البلغة عند أول تهور او عصيان وتهال على الجاني بوابل من الضربات في الظهر غير ابهة بصرخة ولا يركضه، وهي القوية برغم ما توحى به نحافتها الخفيفة²⁸ وتبقى الأم رمز الحنان والعطاء وما أفعالها تلك الا نتيجة التراكمات والأوضاع المزرية التي تعيشها لقسوة الظروف وصعوبة توفير المؤونة.

ث- حميد عفيان:

هو شاب أعزب تجاوز الثلاثين يعمل كسائق حافلة وفي أوقات فراغه يصلح الهوائيات المقعرة (البارابول) أوردته الروائي بعدة تسميات (حميد نيوز/حميدو) معروف أنه مولع بنقل الأخبار الغريبة الفاضحة يتميز "بوجهه النحيف وعينه اللوزتين البراقتين، كما يتأهب لإعلان سر خطير لا يريد لأحد أن يسمعه، فليس من عادة حميد نيوز أن يتردد، أو أن يكثر من يسترق السمع إلى أخباره بل تراه في غالب الأحيان يرفع صوته عمدا المزيد من السامع والذبيوع"²⁹ لأنه مولع بجمع الأخبار ونقلها وهذه أهم الطباع الذي تميزه.

ج- ناصر بولعراج:

هو أب لثلاث أطفال معلم في منطقة نائية أدى الخدمة الوطنية وكان عضوا في الجيش كان يدعى (نصرو) وشارك في مختلف نشاطات الأحزاب الناشئة في تجمعاتها أو مظاهراتها وأفعالها الخيرية مرتد يا "الجلابية الفضفاضة أو ما أصبح يسمى بالقميص الإسلامي وتغطية الرأس بالشاشية البيضاء، ثم السوداء، ونبد الجلوس في المقاهي والترم المسجد"³⁰ حيث كانت تجمع التبرعات ثم تقسم كغنائم بينهم، وقد كان صديق مقرب لفيصل بوسكين وصهر الشيخ السبتي.

ح- الشيخ السبتي:

هو والد سليم الابن المغتال "لم يصمت ولم يتخل عن رغبته المتأججة في الانتقام، ظل على هذيانه الفردي طوال فترات يقظته وربما حتى في فترات نومه المضطربة ... ثم يعد ييمه أن يسمعه شخص ما من أفراد عائلته بما أنهم جميعا وقفوا ضده وإن بالصمت وعدم مجاراته فيما يصبوا إليه"³¹ له ابنة اسمها شفيقة تتجاوز الثلاثين من عمرها.

خ- سليم:

وهو ابن الشيخ السبتي، وزميل الدراسة لناصر وجار ناصر، تجند مباشرة بعد فصله من الثانوية، كان برتبة رقيب، وعند كل زيارة له يروح يحدثه "عن حياته الجديدة بافتخار كبير، أنا لم تغرني حياة الشكنة يوما الخدمة الوطنية لولا الاستدعاء الإجباري وإصرار الدركي الذي أوصل البطاقة إلى غاية الدار على وجوب الامتثال لأمر التجنيد"³² وقد تم اغتياله من طرف جماعة من الرجال بعدما أوقفوا الطاكسي و سرحوا السائق وفي الغد وجد مقتولا و اتهم فيصل بوسكين لحمل وزر زهق روحه و قطع والده عهدا على نفسه بأن يأخذ بحقه و يثأر.

وانطلاقا مما سبق عرضه نستنتج عدة ملاحظات نذكر من بينها :

➤ هناك من بين أسماء الشخصيات ودلالاتها وكيفية تصوير الروائي لها انتقاء الاسم للشخصيات الروائية قد " يحقق للنص مقروئته ، و للشخصية احتمالياتها ووجودها"³³، هي دائما تشفق على والدها وتسعى لمرافقتها. فيصل بوسكين وكما نعلم فيصل هو الخط الفاصل أي بين الحق والباطل وبوسكين لأنه كان قائد جماعة مسلحة تزهق روح كل من يخالف.

➤ تنقسم أنواع الشخصيات إلى ثلاث أنماط متنوعة: الشخصيات الاجتماعية / الشخصيات الدينية / الشخصيات السياسية/ وتغلب عليها الشخصيات الاجتماعية لأن الروائي بصدد رصد أهم الوقائع التي عاشها المجتمع الجزائري في العشرية السوداء وفترة المصالحة الوطنية و قد كان " الاسم الممنوح للشخصية يؤدي الوظيفة نفسها في الحياة اليومية، و بذلك يتم التوازي بين نمط التفكير الواقعي كما هو في الحياة، و بين الإبداع الروائي في خلق بنية شكلية متميزة، فالتوازي هو أحد وسائل الإيham بالواقع، و هو حافز على " انتقال الاسم من خارج النص"³⁴، ونلاحظ أيضا لم يوظف كثيرا الشخصيات النسوية الا دور الأم والابنة ليعين مدى ترابط العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة. "من المعروف أن الأسماء المختارة في الرواية تكون مرجعياتها و خلفياتها متعددة و متنوعة فقد تكون دينية أو تاريخية أو سياسية أو فنية مما يدل هذا التنوع على ثقافة الكاتب و اطلاعه الواسع في مجالات الحياة، الأمر الذي يسهم في ثراء العمل الإبداعي و تميزه"³⁵، حيث ساهمت الشخصيات الروائية في استجلاء الأمكنة ونسج الأحداث بضبط ايقاعات الزمن وكأنها تتشابك فيما بينها لتشكّل بنية سردية متكاملة لسرد الأحداث.

خاتمة:

ساهمت الشخصيات الروائية في استجلاء الأمكنة و نسج الأحداث بضبط إيقاعات الزمن و كأنها تتشابه فيما بينها لتشكل بنية سردية متكاملة لسرد الأحداث، و من خلال ما تطرقنا إليه في هذه الدراسة العلمية التي تناولنا فيها إحدى المواضيع بالغة الأهمية والتي جاءت ضمن عنوان " تشكل البنية السردية واشتغالها في رواية " حصاد الرمال" لمحمد ساري ، و مما تم عرضه توصلنا إلى عدة نتائج ولعل من أبرزها نجله فيما يلي بإيراد أهم النقاط:

- ❖ المكان الروائي ليس مسرحاً للأبحاث فقط بل تتفاعل فيه الشخصيات ويتجلى الزمن بكل إيقاعاته ولم يسهب في التدقيق عند وصف الأماكن الروائية بل جاء ذكرها لمساعدة الشخصيات على التعبير عما يختلجها أو استذكار ذكريات مضت كما كانت رمزية لها دلالات وإيحاءات مفاهيمية محملة بالمعاني الدسمة المدعمة لسير الأحداث وصيرورتها وشرحها.
- ❖ نجد أن الروائي يسرع في وتيرة السرد لكن سرعان ما يوقفها باستذكار الشخصية لحدث ماضي أو ذكريات عاشتها أما التنبؤات فكانت قليلة جداً، والأحداث كانت مثل الخيوط المتشابكة لتنوع التقنيات التي برع الروائي في التنسيق بينها عند توظيفها.
- ❖ أسهب الروائي في وصف شخصياته الروائية دقق في وصفها معنويًا وجسديًا وطبقها الاجتماعية وماضيها وأمنياتها ومآسيها لكنه لم ينوع فيها بقدر التدقيق في وصفها.
- ويبقى باب الدراسة والتحليل مفتوحاً للولوج إلى عوالم الرواية لغنى الأنساق الثقافية المضمرة فيها بشتى أنواعها (الدينية، السياسية، الاجتماعية، الثقافية) والعتبات التي تشد القارئ وتلفت انتباهه خاصة العنوان (حصاد الرمال) في العلاقة الضدية المتناقضة بين الحصد والرمل وتفتح آفاقاً ورؤى متنوعة للباحث.

هوامش:

¹ - إبراهيم درغوثي أنموذجا، مجلة دراسات، جوان 2016، جامعة طاهري محمد بشار، الجزائر، ص148.

² - عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحائثة، ط1، بيروت، 1986، ص95.

³ - محمد ساري، حصاد الرمال، دار الخبر، الجزائر، 2022، ص179.

⁴ - محمد ساري، المرجع السابق، ص19.

⁵ - محمد ساري، المرجع السابق، ص16.

⁶ - محمد ساري، المرجع السابق، ص9.

⁷ - ياسين النصيو، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العام، بغداد، ص17.

⁸ - محمد ساري، المرجع السابق، ص13.

⁹ - غالب هالسا، المكان في الرواية العربية، دار ابن رشد، بيروت، ط1، ص111.

¹⁰ - حسن بحراوي، سنة الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999، ص30.

- ¹¹ إدريس بودية: الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار، منشورات منتوري ، الجزائر / قسنطينة، 2000، ص 98.
- ¹² - محمد ساري، المرجع السابق، ص 6.
- ¹³ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 8.
- ¹⁴ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 8.
- ¹⁵ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 13.
- ¹⁶ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 8.
- ¹⁷ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 8.
- ¹⁸ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 8.
- ¹⁹ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 15.
- ²⁰ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 15.
- ²¹ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 12.
- ²² - محمد ساري، المرجع السابق، ص 11.
- ²³ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 67.
- ²⁴ - نصر الدين محمد، الشخصية في العمل الروائي، مجلة فيصل، دار الفيلس الثقافية للطباعة العربية السعودية ، العدد 37 جوان 1980، ص 20.
- ²⁵ - عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، مكتبة الشباب، مصر، ط 1، 1982، ص 121.
- ²⁶ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 6.
- ²⁷ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 33.
- ²⁸ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 33.
- ²⁹ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 9.
- ³⁰ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 44.
- ³¹ - محمد ساري، المرجع السابق، ص 155.
- ³² - محمد ساري، المرجع السابق، ص 14.
- ³³ - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1990، ص 247.
- ³⁴ - شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص 43.
- ³⁵ - يمينه براهمي، بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المترجمة رواية "الصدمة" لياسمين خضرا أمودجا، مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي علي كافي تندوف، العدد 1، المجلد 5، 2021، ص 68.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم درغوثي أمودجا ، مجلة دراسات، جوان 2016، جامعة طاهري محمد بشار ، الجزائر.
2. عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحائة، ط 1، بيروت 1986.

3. محمد ساري، حصاد الرمال، دار الخير، الجزائر، 2022.
4. ياسين النصيب، الرواية والمكان دار الشؤون الثقافية العام، بغداد.
5. غالب هالسا، المكان في الرواية العربية، دار ابن رشد، بيروت، ط1.
6. حسن بحراوي، سنة الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999.
7. إدريس بودية، الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار، منشورات منتوري، الجزائر / قسنطينة، 2000.
8. نصر الدين محمد، الشخصية في العمل الروائي، مجلة فيصل، دار الفيلس الثقافية للطباعة العربية السعودية، 37، جوان، 1980.
9. عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، مكتبة الشباب، مصر، ط1، 1982.
10. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، البار البيضاء، ط1، 1990.
11. شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009.
12. يمينه براهمي، بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المترجمة رواية "الصدمة" لياسمينه خضرا أنموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي علي كافي تندوف، العدد1، المجلد5، 2021.